"أهمية التحليل النحوي للنص الشعري"

إعداد

عماد سعدي الطيب حسان

المدرس المساعد بكلية دار العلوم بجامعة أسوان

المستخلص:

هدفت الدراسة الموسومة بـــ"أهمية التحليل النحوي للنص الشعري" إلى إثبات العلاقة الوطيدة بين التحليل النحوي وتفسير النصـــوص الشـــعرية، وعـــرض الموضوع من وجهة نظر القدماء والمحدثين، واستخدم الباحـــث المـــنهج الوصـــفي التحليلي، مستعينا بثلة من الكتب القديمة في النحو والبلاغة مثل "الكتاب" لســـيبويه، و"دلائل الإعجاز" لعبدالقاهر الجرجاني، وثلة من الكتب الحديثة فـــي علـــم النحـــو والبلاغة والنقد وعلم اللغة النصي مثل "الجملة الاسمية" للدكتور علي أبو المكـــارم، و" الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها" للدكتور فاضـــل صـــالح السّـــامرّائي، و"بلاغـــة الخطاب" للدكتور صلاح فضل، وقد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج من أهمها:

١- يمتلك النحو وسائل تفسيرية متعددة لتفسير النص الشعري تتمثل في الوظـــائف النحوية وعوارض التركيب وحروف المعاني.

٢- ينطلق التفسير الحديث للنصوص من نحو النص الذي ينطلق من نحو الجملة.

٣- التحليل الجملي أو التركيبي للنص يصل بنا إلى عمقه التركيبي المتمثل في بنيته الكلية.

Abstract:

The study, tagged with "the importance of grammatical analysis of the poetic text", aimed to prove the close relationship between grammatical analysis and interpretation of poetic texts, and to present the subject from the point of view of the ancients and moderns. And “Directions of Miracles” by Abd al-Qaher al-Jurjani, and a number of recent books on grammar, rhetoric, criticism and textual linguistics, such as “The Nominal Sentence” by Dr. Ali Abu al-Makarim, “The Arabic Sentence Composition and Its Parts” by Dr. Fadel Saleh al-Samarrai, and “The Rhetoric of al-Khattab” by Dr. Salah Fadl. The study resulted in several results, the most important of which are:

1- Grammar has multiple explanatory means for interpreting the poetic text represented in grammatical functions, structure beams, and letters of meaning.

2- The modern interpretation of texts proceeds from the text, which proceeds from the sentence.

3- The syntactic or syntactic analysis of the text brings us to its structural depth represented in its overall structure.

مقدمة:

إن تفسير النصوص الشعرية واكتشاف دلالاتها لهو الغاية المنشودة لكل قارئ؛ لمعرفة دلالات ورسائل الشاعر التي يريد توصيلها للمتلقي، ولما كان النص الشعري يعتمد في تركيبه على علم النحو، فكان لزاما على المفسر أن يحلل النص نحويا لكشف دلالات ومقاصد الشاعر.

إن القدماء من علماء النحو أخذوا على عاتقهم استخراج شواهدهم من الشعر، وعدوه المصدر الثالث في أصول الشواهد المبثوثة في كتبهم، ومنهم من اقترب من العملية الإبداعية كعبدالقاهر الجرجاني الذي اتخذ النظام النحوي وسيلة لاستكناه الطاقات الإبداعية للنص الشعري.

فالنحو يمتلك وسائل متعددة لتفسير النص مثل الجمل بأنواعها، والطاقات الداخلية الدلالية الكامنة في حروف المعاني؛ إذ أن النص في تركيبه نظام نحوي يلزم تفكيكه إلى بنياته الأولية (الجملة) للوصول إلى بنيته العميقة التي هي محك التفسير.

والباحث في تفسير النصوص الشعرية يجد أن القدماء انصب تفسيرهم على الجملة، بينما كانت غاية المحدثين هي نحو النص، نابذين فكرة نحو الجملة، ومن المحقق أن المحدثين قد غالوا في هذا القول من جهة أن نحو النص هو الغاية في التفسير لكنه ينطلق من نحو الجملة.

العلاقة بين التحليل النحوي والنص الشعري:

إن اتصال النحو بالنص الشعري مجال خصب جدير بالبحث والدراسة المنهجية المتأنية ، فهذا الاتصال يكشف عن كثير مما يزخر به النحو العربي من إمكانات تعبيرية تتيح للشاعر التصرف في الأساليب، وتمده بالتراكيب المختلفة والبدائل الأسلوبية المتنوعة التي يختار من بينها ما يتناسب مع غرضه ، ويتسق مع غايته ، " فالنحو جزء أساسي من ذكاء الشاعر وفطنته وروعته ، وليس جانبًا خارجيًا، ولا طلاء يطلى به المعنى ، النحو جزء أساسي مما نسميه نشاط الكلمات في الشعر ... فالشعراء يتخلون عن أنظمة نحوية كثيرة ممكنة ، ويصعدون إلى

نظام نحوي لا يمكن الغض منه، ما دمنا حريصين على أن نقرأ الشعر قراءة دقيقة " (١).

فالشعر إبداع وتتسم حركته الإبداعية بأنها دائمة متوقدة بمجريات الانتقاء والاختيار ، فإذا كانت اللغة هي المادة الأساسية للأديب ، فإن الشاعر له لغته الخاصة التي يمكن أن نطلق عليها (لغة الشعر)؛ لأنها لغة إبداعية ، فهو يستخدم ما يعرفونه من اللغة من قبل مفردات ونظاما لكنه يستخدم ما يعرفونه بطريقة تختلف عن الطريقة التي يعرفون فيتولد منها ما يدهش ويوقف على سر جديد من أسرار الروح الإنساني الغامض ، والحياة الإنسانية الولود ، ويكشف جانبًا من جوانب هذين العالمين: الروح والحياة إنهم يعنون بذلك أن لغة الشعر تختلف في أسلوبها عن لغة الكلام العادي ، بما نكون عليه وبما تثيره فينا (٢) .

ففي لغة الشعر يستهلك المضمون الشعري ويفنى في البناء اللغوي الذي يتضمنه بحيث يستحيل الفصل بينهما ، فالمشاعر والأحاسيس والأفكار، وكل العناصر الشعورية والذهنية تتحول في الشعر إلى عناصر لغوية ، بحيث إذا تقوض البناء اللغوي في الشعر تقوض معه الكيان النفسي والشعوري المتضمن فيه (٣) .

وقد أشار سيبويه إمام النحاة إلى تميز لغة الشعر بما تحتمله ما لا يحتمله غيره من الأساليب ، حيث عقد بابًا في كتابه سماه : هذا باب ما يحتمل الشعر(٤) ، وقد ختم هذا الباب بمبدأ عام كذلك هو قوله : " وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهًا " (٥) ، أي أن ما يرد في الشعر محكوم بقوانين لغوية خاصة ، تسمح به ، وتجيزه في هذا المستوى من مستويات الكلام ، وليس شيئًا يلجئهم إلى الوزن وتضطرهم نحوه القافية، أو أن هذه الأمور الجائزة متروكة لعبث العابثين ،

---

(١) النحو والشعر ، قراءة في دلائل الإعجاز ، د. مصطفى ناصف ، مجلة فصول ، العدد الثالث ، أبريل ١٩٨١م ، ص ٣٦.

(٢) الجملة في الشعر العربي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص٥ .

(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د . علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص٤٥.

(٤) الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢٦/١ .

(٥) الكتاب ، ٣٢/١ .

ولغو اللاغين ، بل إنها خصائص خاصة يجيزها النظام اللغوي في هذا الضرب المخصوص من الكلام ، ولها وجه يطلب ومعنى يراد [١] .

ونتبين من هذا أن اللغة في الشعر لها خصوصيتها ، لأنها ترتدي ثوب الشعر منذ اللحظة الأولى فالإبداع والجمال وسيلة وغاية في الشعر ، خاصة أن الشعراء أمراء الكلام ، يصرفونه أنى شاءوا، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده ، ومد مقصوره ، وقصر الممدود ، والجمع بين لغاته ، والتفريق بين صفاته ، واستخراج ما كلَّت الأنفس عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه " [٢] ، أو كما يرى الأستاذ الدكتور أحمد كشك : " تعد اللغة في بنيان الشعر قيمة إيقاعية ومعنوية ، تمنح الشاعر فيضًا من العطاء ويمنحها الشاعر من طاقاته الإبداعية ، وحسه الصادق مذاقًا خاصًا وهذا ما جعلها أحيانًا طوع يديه تخضع لسياقه ، وإن خالفت نواميسها التي وضعت لها ، والأصل أن تكون طاقة الشاعر الإبداعية وإلهامه الصافي مع نظام اللغة والسياق الإيقاعي صنوين متآلفين لا يخرج أحدهما عن ناموس الآخر[٣] .

ومن خلال هذا المزيج يعاد صياغة الوجود على نحو يتسم بالجمال والثراء. كذلك يكشف اتصال النحو بالنص الشعري عن وسائله التفسيرية التي تعين الناظر في النص الشعري ، على التوصل إلى دلالاته الخافية والوقوف على أسراره الكامنة في بنيته الداخلية ، فإن النص الأدبي " فن لغوي قبل كل شيء وبعده ، وإن فهمه لن يكون على الصورة الصحيحة المفيدة إلا إذا كان هذا الفهم قائمًا في أول أمره على فهم بنائه ، وبناء الشعر لا يقوم على بناء جمله المسكوكة في وزنه وقوافيه أو موسيقاه"[٤].

أو كما يقول الدكتور إبراهيم خليل: "إن النص الأدبي نسيج من الألفاظ والعبارات التي تطرد في بناء منظم متناسق يعالج موضوعًا أو موضوعات عدة في

---

(١) الجملة في الشعر العربي ، ص ٢١ .
(٢) نظرية اللغة في النحو العربي ، د. عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٤٦ .
(٣) القافية تاج الإيقاع الشعري ، د. أحمد كشك ، مكتبة دار العلوم ، ١٩٨٣ م ، ص ٩٥ .
(٤) بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٤٩ .

أداء يتميز على أنماط الكلام والكتابة غير الأدبية بالجمالية التي تعتمد على التخيل والإيقاع والتصوير والإيحاء والرمز"[١] .

التحليل النحوي للنص الشعري عند القدماء:

ولا شك أن هناك دراسات قديمة اتصلت بالنص الأدبي تتناوله من حيث الصحة اللغوية ، وتحاول أن تستمد منه كثيرًا من الشواهد التي تفيد في مجال الدرس النحوي ، وأن تتخذه دليلًا على صحة رأي معين أو قاعدة خاصة ، وهناك دراسات أخرى تجاوزت مسألة الصواب والخطأ ، واتصلت بالعملية الإبداعية بدءًا بالمفرد وصولًا إلى الجملة مع ربطها بالطاقة التعبيرية في اللغة من ناحية والطاقة العاطفية في المبدع من ناحية أخرى ، انطلاقًا من الحقيقة الفنية للصياغة وهي كونها تعبر وتؤثر في آن واحد " [٢] .

إن المتتبع لكتب النحو يرى أنهم قد حاولوا وصف النظام اللغوي الموجود في النصوص الأدبية ، والبحث عن علل مجيئه على هذا النحو دون سواه ، كما حاولوا تفسير الشاذ أو ما يتسم بالخروج عن القاعدة برده إليها ، أو بعلل أخر تعود إلى النظام نفسه في نهاية الأمر، "وقد أوجد النظام اللغوي عددًا من وسائل الترابط في الجملة ، بعضها يعتمد على الفهم والإدراك الخفي للعلاقات، وبعضها الآخر يعتمد على الوسائل اللغوية المحسوسة ، وسواء أكانت هذه الوسائل المعنوية واللفظية بين العناصر الإسنادية في الجملة أم بين العناصر الإسنادية وغير الإسنادية في الجملة فإنها تؤدي غايتها بالقدر المقسوم لها"[٣].

ورغم أن المعالجة والكشف عن وسائل الترابط كانت على مستوى الجملة فإن هذا يمثل اللبنة الأولى في البحث عن وسائل الترابط على مستوى النص ، وأن النص ليس إلا تتابع سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها ، والنص مجرد حاصل جمع لهذه الجمل ، والناظر في كتاب دلائل الإعجاز

---

(١) النص الأدبي تحليله وبناؤه ، د. إبراهيم خليل ، دار الكرمل ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م ، ص ١٣ .

(٢) جدلية الإفراد والتركيب ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤م ، ص٨٢.

(٣) بناء الجملة العربية ، ص٨٧.

لعبد القاهر الجرجاني يرى أنه كان يحتفل بالنظم احتفالًا بالغًا والنظم عنده كما هو معلوم ليس إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يرتضيه علم النحو(١).

وبطبيعة الحال فإن الكشف عن هذا النظم يعني الكشف عن البنية الحقيقية للنص، ويترتب على هذا تحديد العلاقات بين البنية النحوية التي تصل إلى الدوال أو بين التراكيب ثم تفسيرها في الوقت نفسه، وعلى هذا فجزئيات التراكيب لا يمكن إدراكها حقيقة إلا من خلال تعلقها بغيرها؛ أي من خلال دورها في خلق النظم، فالوقوف عند الجزئيات لا يفيد كثيرًا؛ لأننا لا نتكلم لنفهم المتلقي معنى كل جزئية على حدة، بل لننتقل إلى الدلالة المفادة من شبكة العلاقات النحوية(٢).

وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني " أنه من خلال النحو يمكنه أن يدرك نظام اللغة ، وهو نظام يختلف في تركيبه من جنس إلى جنس ، فالشعر له نظامه النحوي الذي تكاد تكون إمكاناته نسقًا مغلقًا على ذاته، بحيث لا يتداخل هذا النسق مع غيره من أنساق فنون القول"(٣) .

والنحو ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لاستكناه الطاقات الإبداعية للنص سواء أكان شعرًا أم نثرًا ، فالنحو إبداع ، وقد ميَّز المتقدمون بين مستويين للدراسة النحوية ، يتمثل المستوى الأول في رصد الصواب والخطأ في الأداء ، أما المستوى الثاني فيتجاوز هذا المجال إلى ناحية الجمال والإبداع، فمن المعروف أن حيوية النحو في القديم نبعت من أنه علم نصي ، وغير خاف أنه نشأ في حضن القرآن الكريم ، ومن أن النحاة لم يوقفوا دراستهم على الجانب النظري فحسب ، بل تخطوا ذلك إلى الجانب التطبيقي ، وقد اتخذوا من القرآن الكريم والشعر القديم وشعر معاصريهم – أحيانا – مادة خصبة للتطبيق النحوي"(٤).

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م ، ص٥٥.

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م ، ص٨٤.

(٣) البلاغة والأسلوبية ، د . محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م ، ص٤٥.

(٤) اللغة وبناء الشعر ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، ص١٥.

خلاصة القول: إن النحو عند المتقدمين تجاوز مستوى الصواب والخطأ ليحلق في سماء الإبداع، يقول الدكتور مصطفى ناصف: "فالنحو ليس موضوعًا يحفل به المشتغلون بالمثل اللغوية ، والذين يرون إقامة الحدود بين الصواب والخطأ، أو يرون الصواب رأي واحدًا، فالنحو مشغلة الفنانين والشعراء، والشعراء والفنانون هم الذين يفهمون النحو، أو هم الذين يبدعون النحو ، فالنحو إبداع"(١).

التحليل النحوي للنص الشعري في الدرس اللغوي الحديث:

وفي الدرس الحديث ظهرت المدرسة التحويلية التوليدية التي اهتمت بالجانبين الإبداعي والمعنوي في اللغة ، فأعادت إلى المعنى مكانته من الدراسة ، ولجوهرية اللغة أهميتها في النظر ، وكان على رأس هؤلاء تشومسكي وتشارلز.

ويوضح الدكتور محمد حماسة رؤية المدرسة التحويلية التوليدية لمهمة النحو ، فيقول:" لقد صارت مهمة النحو هي الربط بين عالمي (الأفكار) و(الأصوات) والاهتمام بوسائل الربط بين هذين العالمين والكشف عنها" (٢)، ويتسم البحث النحوي التوليدي بإدراكه لما يسمى بالإبداع اللغوي ، ومحاولة الوصول إلى النظام والقانون الذي يحكم هذا الابداع ما يقول جون ليونز مفسرًا المقصود بهذا الإبداع اللغوي، والإبداع اللغوي من وجهة نظر تشومسكي خاصة إنسانية مميزة تميز البشر عن الماكينات كما تميزه إلى الحد الذي تعرفه عن سائر الحيوانات لكنه إبداع يحكمه قانون، وهو ما يبحثه النحو التوليدي(٣).

وهنا تلتقي النظرية التوليدية من حيث المفهوم والغاية مع النحو العربي الذي قدمه سيبويه وابن جني وغيرهما من الرعيل الأول ، ويرجع هذا التقارب إلى ربط كل منهما اللغة بالجانب العقلي.

إذن ثبت لدينا العلاقة الوثيقة بين النحو والدلالة فتجاوز النحو مستوى الصواب والخطأ هو أمر مفروغ منه، وإذا كان النص يتكون من جمل فإنه يختلف عنها نوعيا "وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، أضف إلى

---

(١) النحو والشعر ، ص ٣٦.

(٢) النحو والدلالة ، ص٣١ .

(٣) بعض المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة ، جون ليونز ، ترجمة : د. مصطفى زكي التوني ، مجلة البيان الكويتية ، العدد ٢٥٠، يناير ١٩٨٧م، ص٦٣ .

هذا أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نصا يمكن أن يطلق عليه (النصية)، وهذا ما يميزه عما ليس نصا ، فلكي يكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية بحيث يساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة(١).

وإذا كان نحو النص يعني – فيما يعني به – برصد الإمكانات النحوية ودورها في خلق الدلالة، فإن هناك " تبادلًا بين النحو بمعناه التقعيدي والنحو بمعناه الجمالي ، بل إن العلاقة بينهما قد أخذت شكلًا جدليًا بهدف إيجاد رابطة بين المعنى العقلي ، أو ما يدور في الباطن تشكيلًا للدلالة والصياغة الملفوظة التي تجسد هذا التشكيل الباطني ، وقد وجد الجرجاني هذه الرابطة في العلاقات القائمة بين الألفاظ ذاتها؛ وعلى هذا أصبح التعبير الأدبي ذا مكونات شبيهة بالعلاقات ينشأ بتعليق بعضها ببعض نظام أو نظم ، واكتشاف هذا النظام يقتضي الكشف عن هذه العلاقات أولًا ثم ربطها برموزها اللفظية ثانيًا وهذا يتيح لنا تجميع خيط نظري لنظرية متكاملة في فهم النص الأدبي من خلال صياغته ، بالرجوع إلى الحركة العقلية للمعنى ، ثم العودة إلى طريقة التنفيذ أو التجسيد اللفظي له "(٢).

هكذا نرى تركيز علمائنا على النحو باعتباره المدخل الصحيح للنص ، ويقصد بالنحو هنا "النحو باعتباره البنية العميقة التي تعطي الجملة معناها، والنحو كما قدمه علماؤنا الأول علم نصي؛ لأنه يتعامل مع التراكيب، ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية، فبالنحو تنكشف (حجب المعاني) وبه تتم (جلوة المفهوم) كما يقول ابن مالك(٣)، والنحو هو الركيزة الأساسية للمعنى كما يقرر جاكوبسون(٤)، ولا بد لدارس الأسلوب أن يعتمد عليه؛ لأنه لا يمكنه التقدم في حقله

(١) لسانيات النص، مدخل لانسجام النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٠م، ص ٩٧.
(٢) جدلية الإفراد والتركيب ، ص٢٨٢ .
(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م، ١٥٥/١.
(٤) النظرية الألسنية عند جاكبسون، دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٩٢.

ما لم يلم بالنحو بكل فروعه: الصوتيات، وعلم الأصوات الدالة بالصرف والتراكيب، وعلم المعاجم وعلم المعاني كما يقول رينيه ويلك في (مفاهيم نقدية) (١).

ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية والمفردات التي تشغل هذه البنية والتفاعل القائم بين المفرد ووظيفته النحوية من خلال سياقه النصي، وهذا تركيز يحتاج إلى شرح طويل، خلاصته أن التحليل النحوي هو في الوقت نفسه تحليل دلالي"(٢).

فالنحو كما يقول صاحب البلاغة والأسلوبية: "أصبح سر صناعة العربية، فهو رابط الصيغ الذهنية، وهو الذي يساعد اللغة على تخطي كل الصعاب وصولا إلى عملية الإبداع"(٣).

أو كما يقول الأستاذ إبراهيم مصطفى: "فإن النحو هو قانون تأليف الكلام ببيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجملة حتى تتسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها"(٤).

وإن أي منهج لقراءة النص ينبغي أن يكون هدفه الأساسي بل الأوحد هو تحليل النص الأدبي في ذاته، أي من حيث هو نص أدبي، دون أن نفرض عليه تفسيرات مسبقة أو تخضعه لعوامل واعتبارات خارجية"(٥).

وإذا كان النحو إبداعا، فلا بد من الانطلاق من النحو في تفسير النص الشعري؛ إذ إن النص لا يمكن أن يتنصص إلى بفتل جديلة من البنية النحوية والمفردات ، وهذه الجديلة هي التي تخلق سياقا لغويا خاصا بالنص نفسه، وعند محاولة فهم أي نص وتحليله لا بد من فهم بنائه النحوي على مستوى الجملة أولا، وعلى مستوى النص كله ثانيا"(٦).

---

(١) مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، ترجمة: د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧، ص ٥١.

(٢) الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، د. محمد حماسة، دار غريب ، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١.

(٣) البلاغة والأسلوبية، ص ٤٢.

(٤) إحياء النحو، ص ٥.

(٥) النص الشعري وآليات القراءة، د. فوزي مسعود، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ت)، ص ٩.

(٦) اللغة وبناء الشعر، ص ٩.

وإذا كان النحو نبعت حيويته من أنه علم نصي، فمن هنا "يصبح المدخل النحوي أكثر انفتاحا من أي منهج آخر؛ لأنه يتيح حرية في التطبيق تتوازى مع حرية الشعر نفسه في الإبداع، المدخل النحوي يأخذ النص كله بوصفه وحدة التحليل فلا يجتزئ بشذرات من النص للاستشهاد؛ لأن كل جزء فيه يشكل جزءا من بنيته الدلالية"(١)، أو كما يقول الأستاذ الدكتور محمود الربيعي: "بأننا إذا دخلنا إلى الشعر من باب لغته نكون قد دخلنا إليه من بابه الطبيعي، وإذا دخلنا إليه من أبواب أخرى... نكون قد دخلنا إليه من الباب غير الطبيعي، فنكون قد أخطأنا المدخل أو على الأقل نكون قد أخطأنا في ترتيب أوليات الدخول إليه"(٢).

وفي هذا الإطار لا يمكن بأي حال أن نقلل من قيمة المداخل الأخرى ما دامت تنطلق من بنية النص ذاته دون أن تفرض عليه تفسيرات مسبقة لا علاقة لها بالبنية التركيبية .

الإمكانات التفسيرية للنحو:

والنحو يمتلك إمكانات تفسيرية هائلة لتحليل النص، وهذه الإمكانات هي الوسائل التي يمتلكها النحو وتزخر بها أبوابه ومباحثه، في سبيل نهوضه بدوره في تفسير النصوص والكشف عن أسرارها ومعانيها، بما تتيحه هذه الإمكانات من دلالات كاشفة تظهر المعاني والعلاقات التي تربط بين عناصره في سياقها، وتأمل سمات التراكيب، وما يعرض لها من عوارض تخرجه عن صورته إلى صور أخرى، لأغراض فنية أخرى، وتتبع هذه الصور وتأمل دلالات الجديدة .

وأهم هذه الإمكانات التفسيرية النحوية لتحليل النص الشعري(٣):

١- الوظائف النحوية : التي تمد الناظر في النص الشعري بالمعاني التركيبية لهدا النص، وتتيح له الوقوف على جميع الاحتمالات الممكنة لتفسيره، بما يفيد في تعدد

---

(١) الإبداع الموازي، ص ١١.

(٢) الشعر والنقد، د. محمود الربيعي، مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ١٩٩٧م، ص ٢٧٩.

(٣) دور النحو في تفسير النص الشعري (رسالة دكتوراه غير منشورة)، مصطفى عراقي، دار العلوم، القاهرة، ص ١٥٨ وما بعدها .

تفاسير النص الشعري الذي لا يكتفي- بطبيعته- بتفسير واحد لما يتميز بـه بنـاؤه اللغوي من تكثيف .

٢ – عوارض التراكيب: التي تعين على معرفة طرائق الشعراء في وجوه تصرفهم بالأساليب، والتراكيب في صور خاصة بهم، لا تخضع للعرف، ولا تلتزم القيـاس، وتكشف عن دلالات هذا التصرف وأغراضه.

٣ – حروف المعاني وأثرها في الأساليب: إذ إن معرفة حروف المعـاني وتحديـد دورها في الأساليب النحوية، يساعد على تعرف هذه الأسـاليب، والوقـوف علـى دقائقها وأسرارها.

واعتماد هذه الإمكانات مجتمعة، واكتشاف آثارها، ودلالاتهـا فـي الـنص الشعري، يقدم تفسيرا موضوعيا لهذا النص، نابعا من بنيته الداخلية، وصادرا عـن تأمل عناصره، وعلاقاته وأسلوب بنائه بصفته بناء لغويا خاصا، يفضي إلى معـان بعينها، يتخذ له موضوعا من داخل تراكيبه، يعبر عن رؤية الشاعر الفنية، لا عـن موقفه السياسي أو الاجتماعي؛ لأن الوقوف على أسلوب البناء في القصـيدة، أولـى بالرعاية دائما من محاكمتها طبقا لمقاييس مجلوبة من خارجها[١]؛ "لأن عدم التفسير الصحيح للنص إهمال للنص والتفسير الملتوي إرهاق له"[٢].

وإمكانات النحو التفسيرية هي السبيل لتحقيق هذه الغاية بما تكشف عنـه مـن جوانب البناء اللغوي في القصيدة، وأسرار هذا البناء، لكنها لا تنهض بهـذه الغايـة الجليلة إلا إذا وجدت من يحسن استغلالها، ويجيد توظيفها بدقة واقتـدار، بطريقـة موائمة، ومناسبة للنص المراد تفسيره، على أن يتحلى بذوق أدبي خاص، وفهم واع لطبيعة النص حتى تؤتي الإمكانات التفسيرية ثمرتها فـي مجـال تفسـير الـنص الشعري[٣].

(١) توازن البناء في شعر شوقي، د. محمود الربيعي، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٨٢، ص٦٩-٧٧.

(٢) لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، د. محمد حماسة، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦، ص٥.

(٣) دور النحو في تفسير النص الشعري، ص ١٥٤.

فالنصوص الشعرية متباينة ومتفاوتة، وكل نص منها يمتلك وسائل خاصة به، بحيث تكون له وحده، وعلى المفسر أن يحاول اكتشافها والإمساك بها والولوج من خلالها إلى عالم النص.

فالعملية الإبداعية في تحليل النص الشعري لا تكتمل إلا بوجود القارئ المنتج لأن النص الأدبي "يتشكل في هيكل أو بنية مؤطرة تقوم في أجزاء منها على الإبهام الناشيء، وعما تشتمل عليه من فجوات أو فراغات يتعين على القارئ ملؤها؛ ولذلك فهو في حاجة دائما إلى القارئ المنتج الذي يكمل هذا العلم ويحققه عيانيا"(١).

وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور على عشري: "القصيدة الحديثة نوع من الإبداع المشترك بين الشاعر والقارئ فهي تحمل معنى محددا وحيدا، والقارئ الجاد هو الذي يكسبها معناها... ولا شك أنه بمقدار وعي القارئ وإخلاصه يعمق معنى القصيدة، ويتضاعف عطاؤها الفني"(٢).

وهذا ما أكده الأستاذ الدكتور محمد حماسة بقوله: "فالشاعر بعد أن ينشئ قصيدته يصبح مثله أمامها أي متلق آخر، ولا يكون الشاعر بالضرورة أقدر على تفسيرها من غيره، فهو قد قال ما قاله بالطريقة التي يجيدها، وأما التفسير فهو مهمة نوع آخر من المتلقين"(٣).

وقد أدرك علماء النص هذه الأهمية للمتلقي فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج(٤).

نحو النص وتحليل النصوص الشعرية:

وقد أصبحت السيطرة في مجال الدرس اللغوي الحديث نحو (نحو النص)؛ لأن الحاجة ملحة لظهور نحو النص الذي يدرس النص باعتباره وحدة واحدة، أو كلا متآخذا باحثا عن وشائج الترابط بين أجزائه، ووسائل تماسكه، إذ إن: "اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك بدءا من القول ذي

(١) نظرية التلقي مقدمة تعدية، روبرت هولب. ن، ترجمة: عز الدين إسماعيل، ط١، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٠، ص١٢، ١٣.
(٢)عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص ١٧.
(٣) الإبداع الموازي، ص ٣٧.
(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ط١، عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٣٠.

الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة، وبدءا من المونولوج وانتهاء بمناظرة جماعية مطولة(١).

كذلك كانت الحاجة ماسة لنحو النص؛ لأن دراسة النصوص ينبغي أن تكون دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنها تعبر عن الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين، ويكثر في هذه الحالة تصادم الاستراتيجيات، والمصالح وتعقد المقامات، ومثل ذلك نراه في حدث الكتابة حيث تتعقد العلاقات بين مكونات الصياغة اللغوية، وترتد أعجازها على صدورها، وتتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون، على نحو يصبح فيه رد الأمر كله إلى الجمل أو نماذج من الجمل تجاهلا للظاهرة المدروسة، وردا لها إلى بساطة مصطنعة تخل بجوهرها وتفضي إلى عزل السياقات القالية والمقالية، والأطر الثقافية، واعتبارها أمرا قائما خارج النحو وطارئا عليها(٢).

ولست مع الذين يقولون إن نحو الجملة لم يعد صالحا لتكوين أو لتمثيل نظرية لغوية تتعرض لمعالجة النص، بغية تحليله كشف أبعاده الجمالية والدلالية(٣)، وبالتالي تكون الدعوة إلى إلغاء نحو الجملة والاستغناء عنه وإسدال الستار على مباحثه وأبوابه، وهذا قطعا لا يجوز؛ لأن نحو النص يعتمد فيما يعتمد في إجراءاته على معطيات نحو الجملة، ناهيك عن أنه- نحو النص- تطور عن نحو الجملة، وكذلك يجب النظر إلى نحو الجملة على اعتبار أنه "تمهيد ضروري لأبحاث علم اللغة النصي، كما يجب أن تستمر هذه الدراسات للوحدات اللغوية الصوتية (الفونيمات) والصرفية (المورفيمات) والمعجمية (اللكسيمات) والنحوية (الجمل)، حتى يمكن استخدامها في وصف النصوص وتحليلها"(٤).

---

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي، وفولفجانج هاينه، من وديتر، ترجمة: فالح بن شبيب، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩، ص ١٧.

(٢) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، جامعة الكويت، ١٩٩٨م، ص ٤٥٣.

(٣) التماسك النصي في الشعر العربي، دراسة نصية دلالية (رسالة ماجستير غير منشورة)، حسام جايل عبدالعاطي، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ص ٦.

(٤) مدخل إلى علم اللغة النصي، ص ٨٧.

فالدراسة النصية في الأساس تعتمد على بناء الجملة، فهي المدخل الحقيقي لبناء النص، وما من شك في أن تجزئة النص تعد أمرا ضروريا تفرضه مقتضيات التحليل اللغوي، "فتجزئة النص من أجل دراسته ليست تجزئة يراد بها تحنيط هذه البقايا المجزية، لكن يراد بها أن نفهم عقليا حركة الأجزاء والعلاقة فيما بينها داخل النص"(١)، "باعتبار النص أكبر وحدة للتحليل، وليس باعتباره مجرد سلسلة من الجمل"(٢).

فما التجزيئ الجملي أو التركيبي للنص إلا بقصد الوصول إلى عمقه التركيبي المتمثل في بنيته الكلية ، التي تجمع شتاته وتحقق وحدته(٣).

خاتمة:

أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

١- يعد التحليل النحوي للنص الشعري تحليلا دلاليا للنص.

٢- حاول علماء النحو القدامى وصف النظام النحوي للنصوص الشعرية، لكنهم قصروا جهودهم على الجملة لا النص.

٣- لابد من الانطلاق عند تفسير النص الشعري من النحو.

٤- يمتلك النحو وسائل تفسيرية متعددة لتفسير النص الشعري تتمثل في الوظائف النحوية وعوارض التركيب وحروف المعاني، واعتماد هذه الإمكانات مجتمعة، واكتشاف آثارها، ودلالاتها في النص الشعري، يقدم تفسيرا موضوعيا لهذا النص، نابعا من بنيته الداخلية، وصادرا عن تأمل عناصره، وعلاقاته وأسلوب بنائه.

٥- ينطلق التفسير الحديث للنصوص من نحو النص الذي ينطلق من نحو الجملة.

٦- التحليل الجملي أو التركيبي للنص يصل بنا إلى عمقه التركيبي المتمثل في بنيته الكلية.

---

(١) النحو والدلالة، ص ١٦٥.

(٢) الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، د. سعد مصلوح، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٤٧.

(٣) دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات (رسالة دكتوراه غير منشورة)، مصطفى قطب، دار العلوم، القاهرة، رقم١٠٧٧.

ثَبَت المصادر والمراجع

- الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، د. محمد حماسة، دار غريب ، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م.
- إحياء النّحو، إبراهيم مصطفى، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
- بعض المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة ، جون ليونز ، ترجمة : د. مصطفى زكي التوني ، مجلة البيان الكويتية ، العدد ٢٥٠، يناير ١٩٨٧م.
- البلاغة والأسلوبية ، د . محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- التماسك النصي في الشعر العربي، دراسة نصية دلالية (رسالة ماجستير غير منشورة)، حسام جايل عبدالعاطي، مكتبة دار العلوم، القاهرة.
- توازن البناء في شعر شوقي، د. محمود الربيعي، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٨٢م.
- جدلية الإفراد والتركيب، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- الجملة في الشعر العربي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات (رسالة دكتوراه غير منشورة)، مصطفى قطب، دار العلوم، القاهرة، رقم١٠٧٧.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.
- دور النحو في تفسير النص الشعري (رسالة دكتوراه غير منشورة)، مصطفى عراقي، دار العلوم، القاهرة.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق: د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م.
- الشعر والنقد، د. محمود الربيعي، مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد الأول، ١٩٩٧م.
- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، جامعة الكويت، ١٩٩٨م.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة د. علي عشري زايد، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- القافية تاج الإيقاع الشعري، د. أحمد كشك ، مكتبة دار العلوم، ١٩٨٣م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.
- لسانيات النص، مدخل لانسجام النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٠م.
- اللغة وبناء الشعر، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، د. محمد حماسة، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦.
- المدخل إلى دراسة النحو العربي، د. علي أبوالمكارم، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

- مدخل إلى علم اللغة النصي، وفولفجانج هاينه، من وديتر، ترجمة: فالح بن شبيب، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، ترجمة: د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧م.
- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الأولى .
- النحو والشعر، قراءة في دلائل الإعجاز، د. مصطفى ناصف، مجلة فصول، العدد الثالث، أبريل ١٩٨١م.
- النص الأدبي تحليله وبناؤه، د. إبراهيم خليل، دار الكرمل، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- النص الشعري وآليات القراءة، د. فوزي مسعود، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ت).
- النظرية الألسنية عند جاكبسون، دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- نظرية التلقي مقدمة تعدية، روبرت هولب. ن، ترجمة: عز الدين إسماعيل، ط١، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٠.
- نظرية اللغة في النحو العربي، د. عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.